السابقة كانت خاطئة . نحن الآن بدأنا الشك في قدرة العسكر على تحقيق منجزات اجتماعية . ان بعض الدول العربية تحكمها احذية عسكرية تحت ستار التقدم والاشتراكية والتحرر . وعندما تعيش في العالم العربي تدخل في تفاصيل الصورة . هذا هو الفارق بين النظرة من بعيد والنظرة من قريب . باسم التقدم تحارب محاولات خلق صيغة ثورية للتقدم ، ونضرب على سبيل المثال المقاومة الفلسطينية . ان اعداء المقاومة ليست الرجعية فقط . كنت اعرف العالم العربي في السابق عن طريق الاذاعة . وليست هناك في العالم اذاعة تقول الحقيقة . ان الاذاعة هي تعبير مهذب عن كذبة شرعية او مشروعة . انا الآن لا أسمع الاذاعة . ولكنني أرى . ارى ان المعركة هي آخر ما يشغل اغلبية الحكام العرب . انهم يخوضون فعلا معركة ويخوضون فعلا حربا، ليس ضد الغزاة ، ولكن ضد المواطنين . وباسم المعركة مع العدو يقمع كل صوت داخلي »(٤٣) .

من هنا اكتسبت تجربة محمود درويش النضالية بخروجه من الارض المحتلة بعدا جديدا ، اذ أصبحت علاقته بالعالم العربي علاقة معايشة يومية ، كشفت له أسرار الهزائم العربية المتواصلة . فاذ الهزيمة أكثر من ضعف في التخطيط العسكري ، او مفاجأة عسكرية غير متوقعة . فهي في أساسها ، نتيجة للتخلف الحضاري الذي تعاني الامة العربية منه ، والمتمثل في غياب الفكر الاصيل الموجه ، والانسياق الجماهيري المتهور وراء قيادات تقليدية اثبتت انهيارها عبر الهزائم المتلاحقة ، وظلت مومياء محنطة جالسة حيث كانت قبل أن تموت . ولعل هذا التخلف الحضاري يتمثل في انتصار صور الجمود والتحجر على كل صوت او فعل يسعى الى تغيير الواقع والمطالبة بتخطي الهزيمة بفعل يتعدى الخطب الحماسية . (ولعل ضرب الحركة الطلابية التي شهدتها شوارع القاهرة في السنتين الماضيتين ، والتي طالبت برفض المساومات والتنازلات والاتجاه الى الفعل لا الكلام ، واتهام الطلبة الذين فجروا هذا التحرك بالخيانة ، دليل على صحة ما نذهب اليه) . من هنا تقع على كاهل المناضل خارج الارض المحتلة ، مسؤوليات قد تكون أكبر من مسؤوليات المناضل في ظل الاحتلال . فعلى المناضل في الخارج تقع مسؤولية حضارية تتمثل في النهوض بالحضارة العربية ، والانتصار على أسباب التخلف والانهيار ، وبناء المجتمع العربي الجديد القادر على مجابهة العدو ، فضلا عن مسؤولية التحرير .

من هذه التجربة الجديدة ، مضافا اليها ، تجربة الشاعر في المعاناة والنضال في ظل الاحتلال الصهيوني ، وآلام الغربة والحنين الى الوطن ، انطلقت قصائد مجموعته الاخيرة « أحبك أو لا أحبك » ، التي صدرت عن دار الآداب في بيروت في شباط عام ١٩٧٢ ، وكتبت قصائدها بين عامي ١٩٧٠ و١٩٧١ في موسكو والقاهرة . وقد عمقت الغربة والحنين الى الوطن مأساة الشاعر ، فاستطاع ــ على اغترابه عن وطنه ــ ان يتحد بهذا الوطن ، بينما لم يستطع الوصول الى هذه المرحلة في أي من قصائده التي كتبها في فلسطين المحتلة . ويعتبر اتحاد الشاعر بالوطن سمة من ابرز السمات التي يتميز بها ديوانه الاخير « أحبك او لا احبك » .

يتألف هذا الديوان من قصيدة طويلة في سبعة عشر نشيدا بعنوان « مزامير » واحدى عشرة قصيدة اخرى . ونلاحظ ان محمود درويش اختار « مزامير » عنوانا لقصيدته الطويلة ، وكأنه يصلي لوطنه كما صلى داود لربه . وقد قرأ محمود درويش التوراة باللغة العبرية وتأثر بها ؛ قال : « وانا شخصيا أشعر بأن تأثير اللغة العبرية عليّ قادم من منطقة بعيدة في التاريخ هي منطقة التوراة ... ولهذا فأنا لا اخشى التوراة كأثر أدبي وان كنت أرفضها كتعاليم لان فيها فصولا مغرقة في العنصرية . اما من الناحية الاخرى ، فتحتوي التوراة على صفحات مشرقة ومغرقة في الشاعرية والبناء